كلمة فخامة الرئيس أمين الجُميِّل(*)
أشكرُ فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدكتور أحمد الطيِّب شيخِ الأزهرِ، ورئيسِ مجلسِ حكماءِ المسلمينَ، بأحرِّ تحيَّاتِ الشُّكرِ على دعوتِه لهذا المؤتمرِ المهمِّ والقيِّمِ على المستوى العربيِّ والإسلاميِّ.
أيُّها الأحبَّاءُ:
لقد استَمَعنا خلالَ جلَساتِ هذا المؤتمرِ إلى مداخلاتٍ قيِّمةٍ من مقاماتٍ رفيعةٍ لبنانيَّةٍ وعربيَّةٍ، تناولَتْ جوانبَ أساسيَّةً من الموضوعِ: «الحريَّةَ والمواطنةَ، التنوُّعَ والتكاملَ».
لسنا اليومَ في صراعِ الحضاراتِ، رغمَ المحاولاتِ المتكرِّرةِ الَّتي يبذُلُها البعضُ لجعلِ تلكَ المقولةِ حقيقةً قائمةً، ولكنَّنا بالتأكيدِ نحنُ في صراعٍ حضاريٍّ؛ فصراعُ الحضاراتِ المزعومُ يفترضُ صراعًا وصدامًا بينَ الحضاراتِ متباينًا ومتناقضًا تحصدُ كلٌّ منها مكوناتِها المتجانسةَ، وتنزلُ الهزيمةَ بغريمتِها الأخرى، ويتَّفقُ في هذا التشخيصِ الكثيرُ في العالَمِ الإسلاميِّ مع نظراءَ لهم في الدولِ الغربيَّةِ، وإن جاهروا العداءَ لبعضِهم البعض.
فأَمسَتِ الأزمةُ العالميَّةُ كأنَّها صراعٌ بين الشرقِ والغربِ، غير أنَّ معيارَهم لفرزِ العالَمِ يأتي من مربَّعينِ متباعدينِ، فالعالمُ الإسلاميُّ لا يقفُ عندَ حدودِ الدولِ ذاتِ الأغلبيَّةِ الإسلاميَّةِ، بل يتعدَّاها طبعًا ليشملَ المجتمعاتِ الَّتي تحتضنُ تجمعاتٍ سكانيَّةً أصليَّةً تعتنقُ الدِّينَ الإسلاميَّ، وتلكَ الَّتي تقطُنها جالياتٌ إسلاميَّةٌ وافدةٌ؛ أي أنَّ العالمَ الإسلاميَّ يتَّسعُ في الواقعِ والمفهومِ ليشملَ كلَّ الكرةِ الأرضيَّةِ.
كما أنَّ قيمَ التنويرِ الَّتي تشكَّلتْ -تشكَّلتْ بنظمٍ سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ، في القرونِ الماضيةِ في القارةِ الأوروبيَّةِ أوَّلًا- لا يمكنُ لخصومِها حصرُها في الغربِ، وهي اليومَ مَشاعٌ للإنسانيَّةِ جمعاءَ.
ولا يمكنُ للغربِ نفسِه زعمُ حصريتِها لهم، وهم في فعلِهم هذا يخرجونَ عن روحِها، هذا هو الواقعُ الذي ينفي تباينَ الحضاراتِ، ويبطلُ الحديثَ عن صراعِها أصلًا، وكأنَّها كائناتٌ قائمةٌ بذاتِها.
إنَّ الصراعَ مستعرٌ داخلَ كلِّ حضارةٍ، فالواقعُ يشيرُ إلى خطورةِ الصراعِ الحضاريِّ، المتحقِّقِ بالفعلِ في كافَّةِ المجتمعاتِ بين توجُّهٍ قطعيٍّ انتقائيٍّ، خائفٍ ومخيفٍ، وآخرَ حضاريٍّ يدعو إلى كلمةٍ سواءٍ، وإلى التعارفِ والتكاملِ واحترامِ التنوُّعِ، فخطوطُ التَّماسِّ في هذا الصراعِ الحضاريِّ ليست بينَ حضاراتٍ مذهبيَّةٍ مزعومةٍ، بل هي تُمزِّقُ مجتمعاتِنا كافَّةً شرقَها وغربَها، فتجدُ مَن يصطفُّ في كلِّ جانبٍ منها، البعضُ من هنا، والبعضُ هناكَ، والرافضونَ لإنسانيةِ الآخرِ، والمسيئونَ لكرامةِ الآخرِ، والمتجاهلونَ فعلًا وقرارًا لحياةِ الآخرِ.
كلُّ هؤلاءِ من هنا وهناكَ، ليسوا حصرًا على مجتمعٍ أو حضارةٍ، وكما هو العالَمُ اليومَ هكذا كانَ لبنان، وكما انتصرَ لبنانُ على الفئويةِ فحصَرَها ودجَّنَها وطوَّقَ مصادرَها، استطاعَ أن ينتصرَ العالَمُ -بدءًا من العالمِ العربيِّ- على أزماتِه الحاليَّةِ.
أيُّها الكرامُ:
إنَّ الدليلَ الساطعَ على أنَّنا في صراعٍ حضاريٍّ، وليسَ في صراعِ حضاراتٍ، هو واقعُ لبنانَ، الوطنُ الجامعُ طوائفَ عديدةً من مسيحيينَ ومسلمينَ وغيرِهم، فهناكَ من المسيحيينَ من يتبعُ الطقسَ الشرقيَّ، وهناكَ من يتبعُ الطقسَ الغربيَّ، من المسلمينَ من ينتمي لمذهبِ

أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، ومن المسلمينَ من ينتمي لمذهبِ أهلِ البيتِ وغيرِهم، واللبنانيونَ في توجهاتِهم الدينيَّةِ مختلفون؛ منهم من يحصرُ الحقَّ في دينِه، ومنهم من يرى تجلِّياتِ الحقِّ في دينِ الآخرينَ، ومنهم مَن لا يعنيه الشأنُ.
وفي لبنانَ -مثلُها مثلُ كافةِ المجتمعاتِ- اختلافاتٌ وانقساماتٌ، منها ما له علاقةٌ بالدينِ، ومنها ما ليسَ له علاقةٌ بالدينِ شكلًا ولا مضمونًا، ومنها ما يوظِّفُ الدِّينَ والطائفةَ والمذهبَ دون أي مسوِّغ، ومنها ما هو بالفعلِ ذو بُعدٍ دينيٍّ.
غيرَ أنَّ الخلافَ والاختلافَ في المعتقدِ والدِّينِ لا يعنيانِ الصدامَ والاقتتالَ، ولبنانُ الذي عانى من صراعٍ وحروبٍ مع غيرِه ومعَ ذاتِه -ومنها حروبُ الآخرينَ- ملتزمٌ الآن بالسِّلمِ الأهليِّ القائمِ على أساسينِ: الأساسُ الأوَّلُ قائمٌ على العمليَّةِ السياسيَّةِ بشكلِها الداخليِّ، وأبعادِها الخارجيَّةِ، الَّتي تعاني من الشوائبِ بلا شكٍّ، ولكنَّها تحقِّقُ القدرَ الكافيَ من منعِ لبنانَ من الغرقِ.
والثَّاني -وهو الهامُّ والأخطرُ- هو العَقدُ الاجتماعيُّ الذي نشَأَ بينَ لبنانَ وما زالَ ساريًا.
أيُّها السَّادةُ، إنَّ أيَّ عقدٍ اجتماعيٍّ لا يقومُ إلا على الحريةِ، ولا كرامةَ إلا للحرِّ؛ فالحريَّةُ هي حريَّةُ الفكرِ والمعتقدِ والإيمانِ، حريةُ الشعائرِ والطقوسِ والتعبيرِ، والكرامةُ هي كرامةُ الإنسانِ والفردِ والجماعةِ.
هذا ما تؤكِّدُه الدياناتُ السماويَّةُ، بدءًا بالمجمعِ الفاتيكانيِّ الثَّاني المنعقدِ ١٩٦٣م، الدَّاعي للتفاهمِ والانفتاحِ بينَ الأديانِ، وبتوجُّهاتِ الأزهرِ الشريفِ والأوراقِ التنويريةِ الصادرةِ عنهُ، وتحرُّكاتِ فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ، ومجموعةٍ من المبادراتِ المشابهةِ، وهذا ما تقومُ بهِ مصرُ على الصعيدِ الداخليِّ والإقليميِّ.
وفي هذا الصَّددِ نذكرُ زيارةَ الملكِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ العزيزِ إلى الفاتيكانِ، وما ترَكَتْه من أثرٍ في العلاقاتِ بين الأديانِ، وهناك مبادراتٌ عديدةٌ لا يسعُ الوقتُ لذكرِها.
ويجبُ هنا التوقفُ إلى حاجةِ المجتمعاتِ إلى ما أُسمِّيه: «الأمنَ الصُّلبَ» المتجسِّدَ بالأمنِ الثقافيِّ القائمِ على الثقةِ والاطمئنانِ، والأمنِ السياسيِّ المسندِ إلى الحوكمةِ الرشيدةِ، فبدونِ حوكمةٍ رشيدةٍ أعتقدُ أنَّه لا يمكنُ التحدُّثُ عن تطوُّرِ ذلكَ لمواجهةِ التوجُّهاتِ المتطرِّفةِ وانتشارِ العنفِ الرافضِ للآخرِ في أكثرَ من مجتمعٍ عربيٍّ.
لابدَّ لنا من مراجعةٍ ذاتيَّةٍ حولَ الفشلِ في التأسيسِ لثقافةٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ قائمةٍ على قبولِ الآخرِ، وقد يكونُ السببُ في هذا الفشلِ أنَّ الأنظمةَ الاستبداديَّةَ لم تكنْ معنيَّةً برُقيِّ هذا المواطنِ، وقد يكونُ التضييقُ على المواطنِ والتعدِّي على حرِّيتِه وكرامتِه، هو ما يدفعُ البعضَ أحيانًا إلى العنفِ والثورةِ والرفضِ.
أيُّها الأحبَّةُ:
نظرًا لأهميَّةِ هذا المؤتمرِ والكلماتِ القيِّمةِ الَّتي أُلقيتْ، أقترحُ أن تُشكَّلَ هيئةٌ من المشاركينَ، مهمَّتُها متابعةُ مقرَّراتِه والتَّواصلُ مع كلِّ الجهاتِ العربيَّةِ الدوليَّةِ الإسلاميَّةِ والمسيحيَّةِ المعنيَّةِ، على أن تضعَ الهيئةُ تقريرًا دوريًّا تحتَ تصرُّفِ أمانةِ السِّرِّ.